

أصوات



محمد رضا نصر الله

لتعاود همومك يا أبا الشيماء!

●● في عز سنوات الطفرة، تحمس الأستاذ محمد سعيد طيب العضو المنتدب لشركة تهامة، لإعادة طبع أعمال الأدباء السعوديين من الرواد، وطبع أعمال المعاصرين من شعراء وقصاصين وباحثين..

وكان حماسه جميلاً بكل تأكيد، حين وجه مؤسسة استثمارية نحو هذا المجال.. ولكنه كمشروع ثقافي أهلي سرعان ما تهاوت أركانه وتضعفت قواه!

والعجيب أن تمت هذه المبادرة في وقت مبكر من نشوء القطاع الاستثماري، أي قبل أن تتجه أعين المجتمع إلى عناصر هذا القطاع بوصفه جهة أهلية عليها واجب والتزامات.. ولو أن شركة تهامة استعادت تجربتها اليوم، بالتضافر مع عناصر استثمارية أخرى، وجهات حكومية لها صلتها بالثقافة والمثقفين.. لربما كتب لها النجاح أو بعضه.

●● وثراني أصيغ الجملة الأخيرة على سياق واسع من الاحتمالية، قد يقود مشروع النشر إلى الفشل، أو قدر من النجاح!! وذلك بحكم مرارة التجربة في عالمنا العربي مع الكتاب ونشره.. بل إلى تهميش الثقافة والمثقفين فيه.. فلو كان لهذين حضور في حياتنا العربية لما ابتلينا بمظاهر التخلف الحضاري التي تأخذ أبرز أشكالها - اليوم - في

اختزال اهتماماتنا الاجتماعية بمستوياتها المتعددة؛ وتسطيحها للمفهوم الثقافي وتزييقها للوعي، عبر هذا التوجه الشيق لعيوننا وأذاننا في برامج اللهو الفضائي، التي كأنها سرقت اهتمام القارئ بالمطبوعات الثقافية والأدبية.. أو في الأقل، حصرته في شريحة ضئيلة من المجتمع..

ولتوسيع هذه الشريحة ينبغي أن يتوجه ذلك المشروع.. الذي حين بدأت تهامة لم يكن في بالها الربحية، وإنما تغطية نفقات الطبع والتوزيع..

●● وأزعم أن هذا دور وطني قد ينجح - اليوم - لو تصافرت جهود تهامة مع جهود الأندية الأدبية وبعض القطاعات الاستثمارية ممن تهتز قرائح أصحابها لمثل هذا العمل.. فالبنوك - مثلاً - قد تتحمس لنشر مؤلفات ودراسات تتعلق بعلاقة المفهوم الإسلامي لقضايا الاقتصاد المعاصر.. ومؤسسات أخرى قد تمول دراسات تتجه نحو قابلية الاستثمار السعودي نحو التصنيع الزراعي والطبي والعمراني والاستهلاكي.. إضافة إلى ما ينبغي أن ترعاها الجامعات السبع من نشر للثقافة التاريخية والمعاصرة، في حين تتبنى الأندية الأدبية وجمعية الثقافة والفنون برنامج نشر منظم لما ينتجه الأدباء على مختلف الأعمار والاتجاهات، لمجمل فنون الإبداع والأدب المعاصر.

●● لذا.. أدعو الأستاذ محمد سعيد طيب إلى أن يعاود همومه الثقافية القديمة بتفعيل مشروع تهامة للنشر.. مستفيداً - اليوم - من ترسخ مؤسسات الاستثمار السعودي في طول البلاد وعرضها.. هذا من الناحية التمويلية.. أما من الناحية البشرية.. فإن المملكة تحظى اليوم بأجيال من المثقفين والمبدعين يتطلعون إلى أية مبادرة تطرح نجارهم في السوق بين أيدي القراء.. فلنعمل على كسبهم - يا أبا الشيماء - التي صف القراءة والكتاب، قبل أن تسرق بقديتهم الباقية، برامج السح الدج امبو، التي تتراقص بها الشبهوات الرخيصة في فضائيات الـ «فيديو كليب»!!